مطلب اطلاق القول بان نبينا محمد

في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع
دخول في خطر عظيم وحكم في مقالات لسنا اهلا للحكم فيه وقد ورد ما يمنع من الدخول في
ذلك كقوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس ابن متى فان المراد به لا تدخلوا في امور
بعقولكم والا فنحن قاطعون بانه افضل من يونس عليهما السلام والذي ينشرح له
الصدر ويثلج له الخاطر اطلاق القول بان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خير الخلق
اجمعين من ملك وبشر وخير الناس بعد الانبيا والملايكة ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم علي رضي الله عنهم انتهى فتحصل في المسئلة خمسة اقوال وهذا في غير نبينا صلى
الله عليه وسلم اما هو فمستثنى من ذلك للاجماع على افضلية كما سلف واحتج الاولون
بوجوه نقلية وعقلية فمن الاولى ما تقدم في حقهم من الايات التي اوجبت
لهم الكرامة المطلقة والخشية والامتثال وعدم الاستكبار المشعران بان
غيرهم ليس كذلك ومنها قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول لكم اني ملك وقوله تعالى حكاية عن قول ابليس لادم وحوى
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله لن يستنكف المسيح ان
يكون عبد الله ولا الملايكة المقربون ونحو ذلك كقوله علمه شديد القوى نزل
به الروح الامين فالمعلم افضل من المتعلم وكتقديمهم في الكتاب والسنة وغير
ذلك ومن العقلية انهم ارواح مجردة متعلقة بالهياكل العلوية مبراة
عن ظلمة المادة والشهوة والغضب اللذين هما مصادر الشرور متصفة بالكمالات العلمية والعملية بالفعل مع عدم شوايب الجهل والنقص والخروج
من القوة الى الفعل على سبيل التدريج ومن احتمالات الغلط قوية على الاشغال العجيبة واحداث السحب والزلازل واشتغالها مطلعة على اسرار الغيب
ماضيها وآتيها سابقة الى الخيرات ومنها كثرة اعمالهم وطول زمانهم الموجبات
كثرة الثواب مع عدم الشواغل وكمال العلوم وكثرتها مع كونهم يشاهدون
اللوح المحفوظ المنتقش بصور الكائنات واسرار المغيبات واحتج الاخرون
بادلة نقلية وعقلية ايضا فمن الاولى قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم اي سجود تعظيم وخدمة وتكريم لا سجود عبادة اذ هو لا يكون الا لله
تعالى بدليل قوله حكاية عن ابليس ارايتك هذا الذي كرمت علي وانا خير منه خلقتني
من نار ونقل الكواشي عن جماعة من السلف كقتادة انه كان ذكره [illegible]

الجبهة على الارض لا يكون الا لله تعالى واقره الجلال ومقتضى فعل الحكيم ان لا يامر
الاعلى بالسجود للادنى بل العكس ومنها قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها مع
قوله تعالى حكاية عنه فقال انبؤني باسما هؤلا وحكاية عنهم قالوا سبحانك لا علم
لنا الا ما علمتنا فهذا يفهم ان القصد منه تفضيل ادم وبيان مزية علمه واستحقاقه
التعظيم والتكريم ومنها قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية وهم من جملة العالمين
وقد خص منها بالاجماع تفضيل عامة البشر على رسل الملايكة فيبقى الحكم فيما وراء
ذلك على حاله فلا تخصيص لهم منه ولا وجه لتفسير العالمين باكثر من المخلوقات
وغير ذلك من الايات نحو وكلا فضلنا على العالمين وفضلناهم على العالمين بعد
ذكرهم ومن الثانية ان بني آدم لا يحصلون الفضايل والكمالات الا مع الشواغل
والعوايق والموانع من الشهوة والغضب وعروض الشدايد والمحن ونحو الطبايع
ولا شك ان من كان امره اشق فهو بالافضلية احق كما قال صلى الله عليه وسلم
افضل الاعمال احمزها اي اشقها كيف وهو مركوز في الشهوات مجبول على
اللذات ممتحن بالفتنة لهما من اجل العنايات واتم الكرامات ولذا قالوا ركبت
الملايكة من عقل بلا شهوة والبهايم بعكسها وبنو ادم من كليهما فمن رجح
عقله على شهوته فهو خير من الملايكة ومن كان بالعكس فهو شر من البهايم
كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل واجابوا عن الايات المتقدمة بانها
تدل على فضيلتهم دون افضليتهم ولو سلم فانما تدل على كونهم افضل
ممن لم تكن فيه تلك الصفات لا على من كانت فيه لا سيما الانبيا المطهرين
والرسل المكرمين وعن الثانية بان ذلك تمويه من الشيطان وتخييل لما
يشاهده في الملك من حسن الصورة وعظم الخلق وكمال القدرة ولو تنزل
فغايتها تفضيلهم على ادم وقت مخاطبته واذ ذاك لم يكن نبيا كما يدل عليه قوله
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى والنزاع فيما بعد وبانه انما امر ان يقول ولا اقول
لكم اني ملك لما استعجلة قريش من العذاب الذي اوعدهم به بقوله والذين كذبوا
باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون والمعنى لست بملك حتى تكون في القدرة
والقوة على انزال العذاب كما في الملايكة والتفاوت في القوة لا يستلزم الافضلية
وبان ذكرهم بعد المسيح انما هو لاستعظامهم المسيح من حيث انه ابن لا اب له وقادر
على ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى بخلاف غيره من بني ادم فقال ان يستنكف

Copyright King Saud University